الباب الثاني

عثمان بن عفان
في العهد المدني

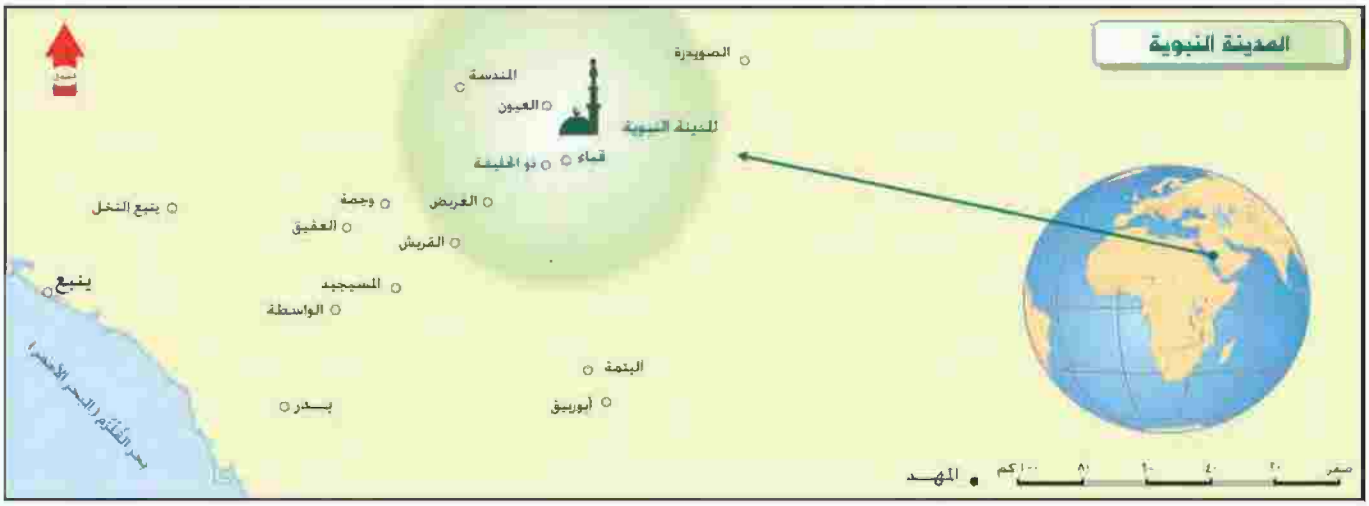

مسجد قباء : أول المساجد التي بنيت في الإسلام خطه الرسول عليه السلام بيده، عندما وصل إلى منطقة قباء مهاجراً من مكة المكرمة إلى المدينة النبوية، وشارك في وضع لبناته الأولى ثم أكمله الصحابة رضوان الله عليهم. وكان الرسول عليه السلام يقصده بين الحين والآخر ليصلي فيه، ويختار يوم السبت غالباً، ويحض على زيارته. وقد جاء في الحديث (من تطهر في بيته، ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه صلاة كان له أجر عمرة) سنن ابن ماجه .

جدده بناؤه سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم عمر بن عبد العزيز، وفي العهد السعودي حظي هذا المسجد بعناية فائقة، حيث تم إعادة بنائه ومضاعفة مساحته، كما هو في الصورة.

مسجد الميقات : يقع هذا المسجد على الجانب الغربي من وادي العقيق، ويبعد عن المسجد النبوي حوالي ١٢ كم تقريباً، ويعرف بمسجد الشجرة لأن الرسول عليه السلام نزل تحت ظل شجرة سمرة أثناء حجه، ويُطلق عليه أيضاً مسجد ذي الحُليفة نسبة للمنطقة التي يقع فيها، وهي ميقات أهل المدينة المعروف بمسجد الميقات (آبار علي) جدد بناؤه في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز طيب الله ثراه، ويرى في الصورة مسجد الميقات في بنائه الحديث، اللقطتان بعدسة المؤلف .

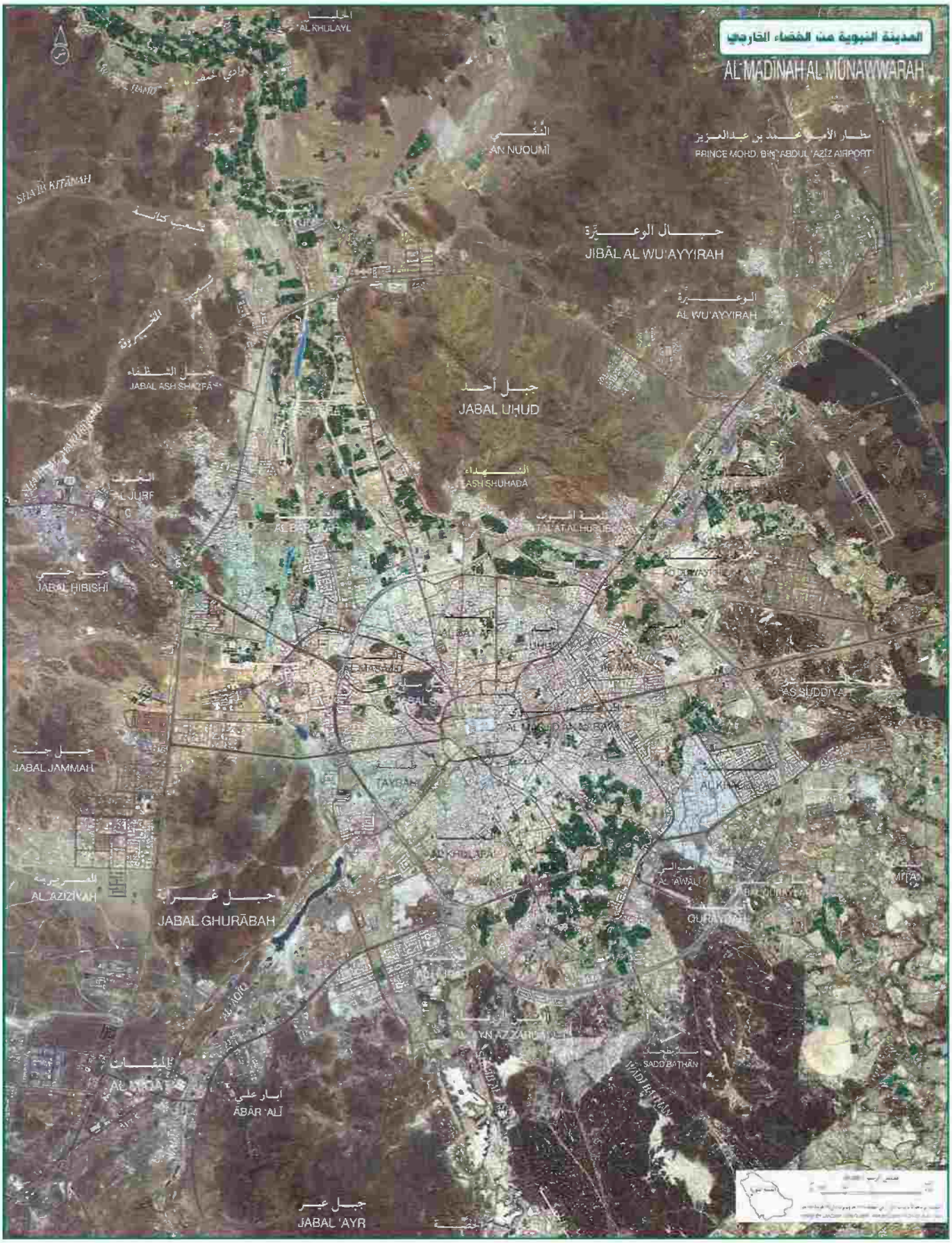
المدينة النبوية من الفضاء الخارجي
AL MADĪNAH AL MUNAWWARAH
الخليص
AL KHULAYL
النقيع
AN NUQUMĪ
مطار الأمير محمد بن عبدالعزيز
PRINCE MOHD. BIN ABDUL 'AZIZ AIRPORT
جبال الوعيرة
JIBĀL AL WU'AYYIRAH
الوعيرة
AL WU'AYYIRAH
جبل الشظاء
JABAL ASH SHAZĀ
جبل أحد
JABAL UHUD
الشهداء
ASH SHUHADĀ
الجرف
AL JURF
جبل حبشي
JABAL ḤIBISHĪ
السديد
AS SUDDIYA
جبل جمة
JABAL JAMMAH
طيبة
TAYBAH
العزيزية
AL 'AZIZIYAH
جبل غراب
JABAL GHURĀBAH
قرى العوالي
QURA AL 'AWĀLĪ
المقيات
AL MUQAYTĪ'
آبار علي
ĀBĀR 'ALĪ
جبل عير
JABAL 'AYR

صورة مسائية للمسجد النبوي

جانب من المباني المقابلة للمسجد النبوي الشريف. ويرى فن البناء الحديث في العصر السعودي الزاهر.
اللقطتان بعدسة المؤلف.

عثمان بن عفان رضي الله عنه ومعركة بدر الكبرى

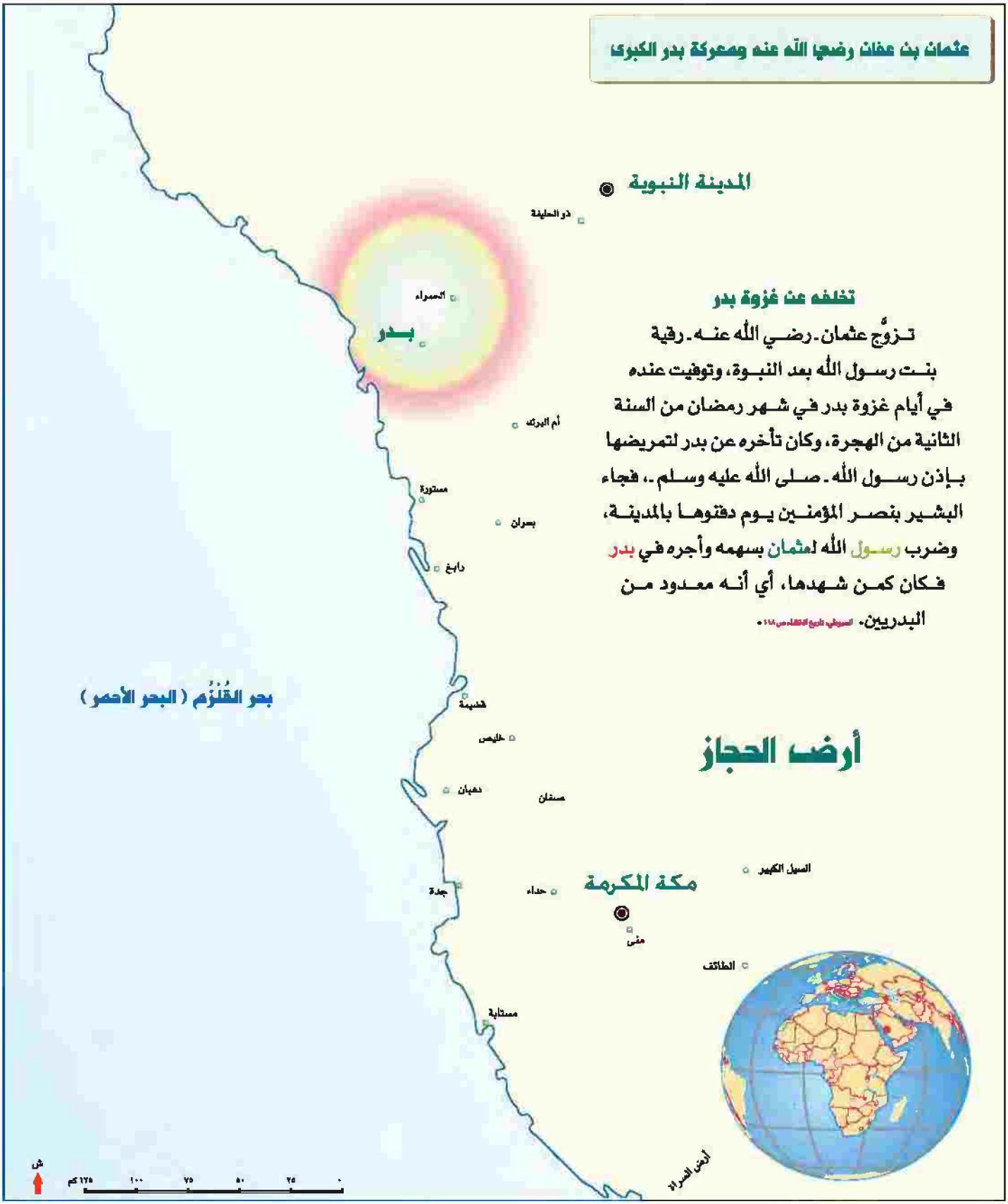

تخلفه عن غزوة بدر

تـزوَّج عثمان ـ رضـي الله عنـه ـ رقية بنـت رسـول الله بعد النبـوة، وتوفيت عنده في أيام غزوة بدر في شـهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة، وكان تأخره عن بدر لتمريضها بـإذن رسـول الله ـ صـلى الله عليه وسـلم ـ، فجاء البشـير بنصـر المؤمنـين يـوم دفنوهـا بالمدينـة، وضرب رسـول الله لعثمان بسهمه وأجره في بدر فـكان كمـن شـهدها، أي أنـه معـدود مـن البدريين. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ١٨٠.

بعد استقرار الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة النبوية، قام الرسول بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار فكان نصيب عثمان بن عفان رضي الله عنه في المؤاخاة مع أوس بن ثابت. وكان عثمان خلال العهد المدني أحد رجالات الدولة الإسلامية المعول عليهم، بل أحد العشرة المبشرين بالجنة.

أطلس الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه

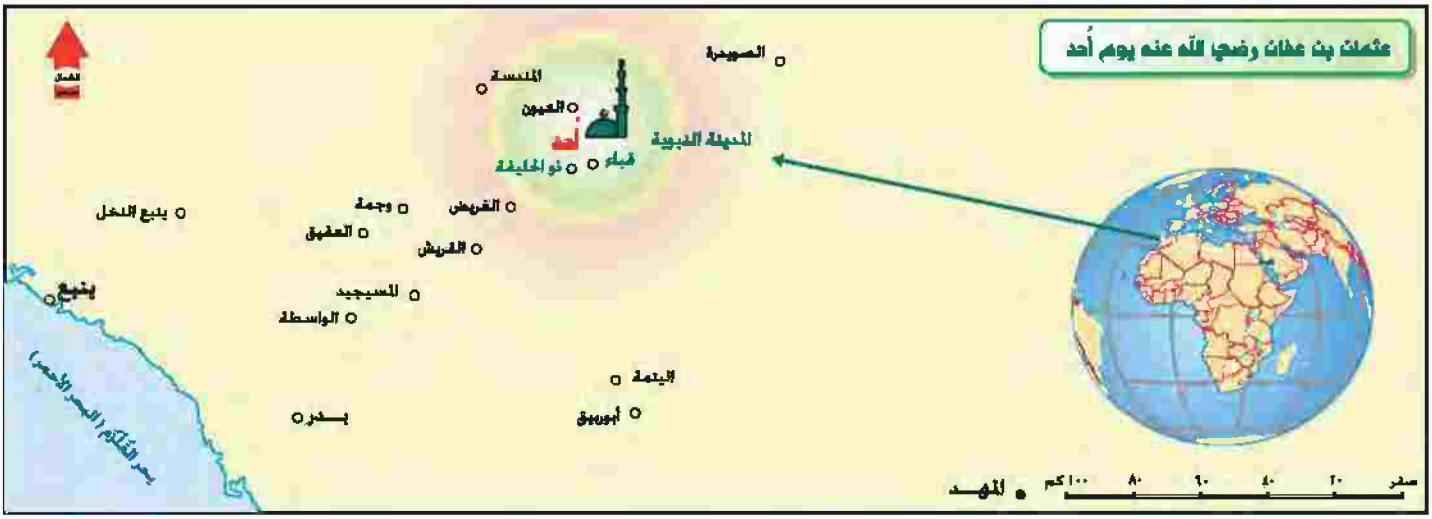

قال تعالى: « إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا اللّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ » آل عمران: ١٥٥.

قوله تعالى: «إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ » هذه الجملة هي خبر «إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا» . والمراد من تولّى عن المشركين يوم أُحُد؛ عن عمر رضي الله عنه وغيره. السُّدّي: يعني من هرب إلى المدينة في وقت الهزيمة دون من صَعِد الجبل. وقيل: هي في قوم بأعيانهم تخلّفوا عن النبي صلى الله عليه وسلم في وقت هزيمتهم ثلاثة أيام ثم انصرفوا. ومعنى « اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ » استدعى زللهم بأن ذكّرهم خطايا سلفت منهم. فكرهوا الثبوت لئلا يُقتلوا. وهو معنى « ببعض ما كسبوا » وقيل:« استزلّهم » حملهم على الزلل، وهو استفعل من الزلّة وهي الخطيئة. وقيل: زَلّ وأزلّ بمعنى واحد. ثم قيل: كرهوا القتال قبل إخلاص التوبة، فإنما تولّوا لهذا، وهذا على القول الأوّل. وعلى الثاني بمعصيتهم النبي صلى الله عليه وسلم في تركهم المركز ومَيْلهم إلى الغنيمة. وقال الحسن: « مَا كَسَبُوا » قَبُولهم من إبليس ما وسوس إليهم. وقال الكلبي: زيّن لهم الشيطان أعمالهم. وقيل: لم يكن الانهزام معصية؛ لأنهم أرادوا التحصّن بالمدينة، فيقطع العدّو طمعه فيهم لمّا سمعوا أن النبي صلى الله عليه وسلم قُتِل. ويجوز أن يقال: لم يسمعوا دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لِلهَوْل الذي كانوا فيه. ويجوز أن يقال: زاد عدد العدّو على الضِّعف؛ لأنهم كانوا سبعمائة والعدوّ ثلاثة آلاف. وعند هذا يجوز الانهزام ولكن الانهزام عن النبي صلى الله عليه وسلم خطأ لا يجوز، ولعلّهم توهّموا أن النبي صلى الله عليه وسلم انحاز إلى الجبل أيضاً. وأحسنها الأول. وعلى الجملة فإن حُمِل الأمر على ذنب مُحقّق فقد عفا الله عنه، وإن حُمِل على انهزام مُسَوّغ فالآية فيمن أبْعَد في الهزيمة وزاد على القدر المسوّغ. وذكر أبو الليث السَّمَرْقَندي نصر بن محمد بن إبراهيم قال: حدّثنا الخليل بن أحمد قال: حدّثنا السراج قال حدّثنا قتيبة قال: حدّثنا أبو بكر بن عَيّاش عن جرير: أن عثمان كان بينه وبين عبد الرحمن بن عوف كلام، فقال له عبد الرحمن بن عوف: أتَسُبُّني وقد شهدتُ بَدْراً ولم تشهَد، وقد بايعتُ تحت الشجرة ولم تبايع، وقد كنتَ تُوَلّى مع من تَوَلّى يوم الجَمْع، يعني يوم أُحُد. فردّ عليه عثمان فقال: أما قولك: أنا شهدتُ بدرا ولم تشهد، فإني لم أَغِب عن شيء شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا أن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت مريضةً وكنت معها أُمَرِّضها، فضرب لي رسول الله صلى الله عليه وسلم سهماً في سهام المسلمين، وأما بيعة الشّجرة فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثني رَبيئَةً على المشركين بمكة . الرَّبيئَةُ هو الناظر . فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيمينه على شماله فقال: « هذه لعثمان » فيمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وشماله خير لي من يميني وشمالي. وأما يوم الجَمْع فقال الله تعالى: «وَلَقَدْ عَفَا اللّهُ عَنْهُمْ » فكنتُ فيمن عفا الله عنهم. فحج عثمانُ عبدَ الرحمن.قلت: وهذا المعنى صحيحٌ أيضاً عن ابن عمر. كما في صحيح البخاري قال: حدّثنا عَبْدانُ أَخْبرنَا أبو حمزة عن عثمان بن مَوْهَب قال: جاء رجلٌ حجّ البيت فرأى قوما جلوساً فقال: مَنْ هؤلاء القعود قالوا: هؤلاء قريش. قال: من الشيخ ؟ قالوا: ابن عمر؛ فأتاه فقال: إني سائلك عن شيء أتُحدِّثني ؟ قال: أنْشُدكَ بحُرْمة هذا البيت، أتعلم أن عثمانَ ابنَ عفّان فرَّ يوم أُحُد؟ قال: نعم. قال: فتعْلَمُ تغيّب عن بَدْر فلم يشهدها؟ قال: نعم. قال: فتعلم أنه تخلّف عن بيعة الرِّضوان فلم يشهدها؟ قال: نعم. فكبّر. قال ابن عمر: تعالَ لأخبرك ولأبينّ لك عما سألتني عنه؛ أمّا فراره يوم أحُد فأشهد أن الله عفا عنه. وأما تغيُّبهُ عن بَدْر فإنه كان تحته بنتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت مريضةً فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «إن لكَ أجر رجل ممن شَهِد بَدْراً وسهْمَه ». وأما تغيُّبهُ عن بيعة الرِّضوان فإنه لو كان أحَدٌ أعز ببطن مكة من عثمان بن عفان لبعثه مكانه، فبعث عثمانَ وكانت بيعةُ الرِّضوان بعد ما ذهب عثمانُ إلى مكة؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى: « هذه يد عثمان » فضرب بها على يده فقال: « هذه لعثمان ». اذهب بهذا الآن معك.القرطبي، تفسير القرطبي،ج٤، ص ٢٤١ – ٢٤٣ .قلت: فرغم ذلك فالفرقة التي تقهقرت وفرت من أرض المعركة، فقد أنزل الله فيها آيات تتلى إلى يوم القيامة تعفو عنهم وتصفح عن ما فعلوا، لكن أصحاب الأهواء والباطل؛ كالذباب لا يقعون إلا على الجرح، وينسون بقية الجسم السليم، لما تحمله قلوبهم من كراهية وحقد وضغينة .

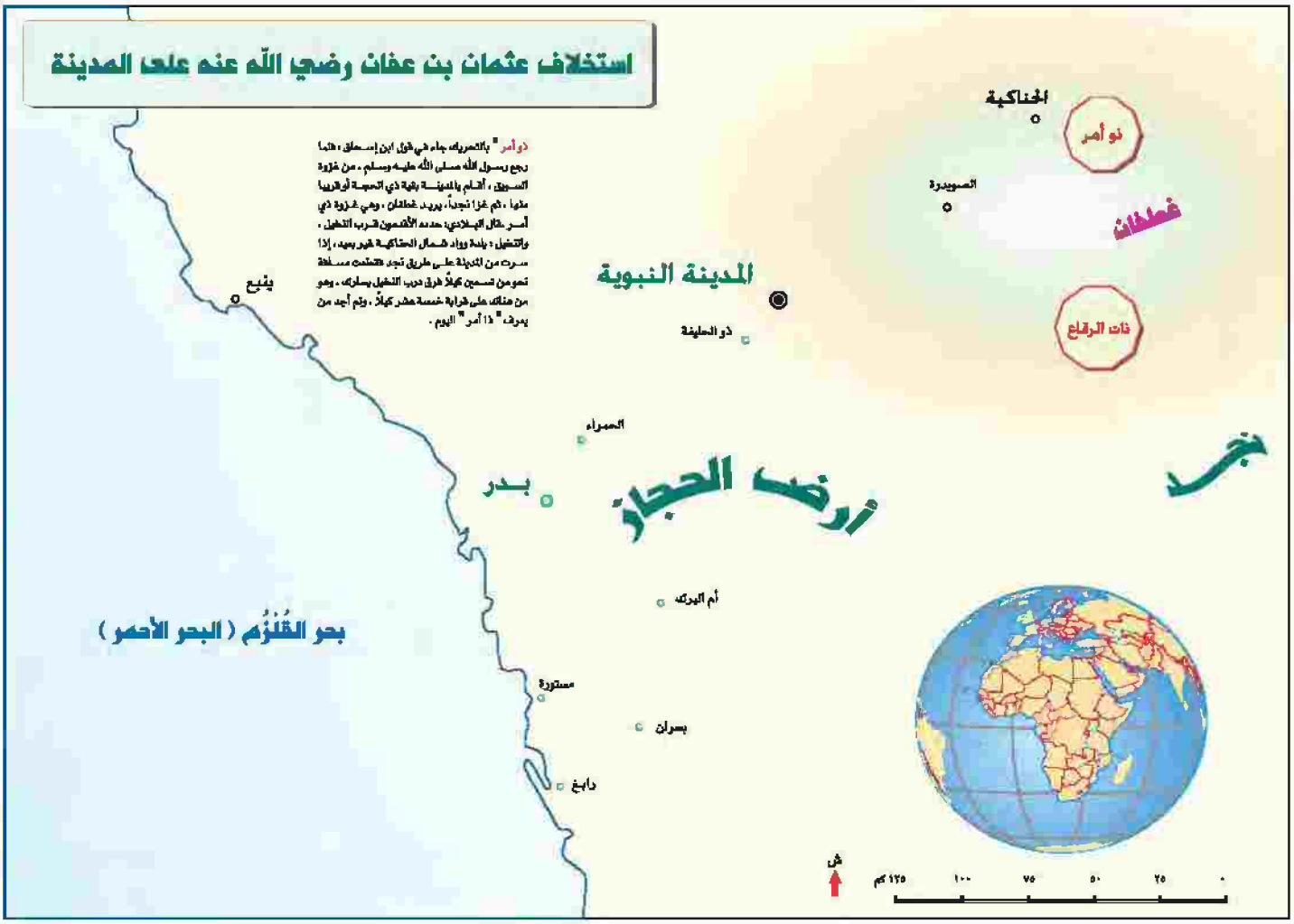

ذو أمر " بالتصريف جاء في قول ابن إسحاق ، فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من غزوة السويق ، أقام بالمدينة بقية ذي الحجة أو قريبا منها ، ثم غزا نجداً ، يريد غطفان ، وهي غزوة ذي أمر . قال البلاذري: حده الأقدمون قرب النخيل ، والنخيل : بلدة وواد شمال الخناكية غير بعيد ، إذا سرت من المدينة على طريق نجد فاعتمدت مسلحة تحوم من تسمين كيلاً فرق درب النخيل يسارك ، وهو من هناك على قرابة خمسة عشر كيلاً ، ولم أجد من يعرف " ذا أمر " اليوم .

نو أمر

قال ابن إسحاق، فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة السويق أقام بالمدينة بقية ذي الحجة أو قريباً منها، ثم غزا نجداً يريد غطفان، وهي غزوة ذي أَمَر. قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عثمان بن عفّان. قال ابن إسحاق، فأقام بنجد صفراً كلّه أو قريباً من ذلك، ثم رجع ولم يلق كيداً. وقال الواقدي : بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن جمعاً من غطفان من بني ثعلبة بن محارب تجمّعوا بذي أَمَر يريدون حربه، فخرج إليهم من المدينة يوم الخميس لتلقي عشرة خلت من ربيع الأول سنة ثلاث، واستعمل على المدينة عثمان بن عفّان، فغاب أحد عشر يوماً، وكان معه أربعمائة وخمسون رجلاً ، وهربت منه الأعراب في رؤوس الجبال حتى بلغ ماء يقال له: ذو أمر، فسكر به، وأسابهم مطر كثير هابطٌ فبلّ ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزل تحت شجرة هناك، ونشر ثيابه لتجفّ، وذلك بمرأى من المشركين، واختلط المشركون في شؤونهم، فبعث المشركون رجلاً شجاعاً منهم يقال له: غورث بن الحارث، أو دعثور ابن الحارث فقالوا: قد أمكنك الله من قتل محمّد، فذهب ذلك الرجل ومعه سيف صقيل، حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف مشهوراً، فقال: يا محمّد من يمنعك مني اليوم؟ قال: «الله» ، ودفع جبريل في صدره فوقع السيف من يده، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ » قال: لا أحد. وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمّداً رسول الله. والله لا أكثر عليك جمعاً أبداً. فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه، فلما رجع إلى أصحابه فقالوا: ويلك، ما لك؟ فقال: نظرت إلى رجل طويل فدفع في صدري فوقعت لظهري، فعرفت أنه ملك، وشهدت أن محمّداً رسول الله والله لا أكثر عليه جمعاً، وجعل يدعو قومه إلى الإسلام. قال: ونزل في ذلك قوله تعالى « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ » (سورة المائدة ١١) .

ذات الرقاع

أراد الرسول صلى الله عليه وسلم تأديب الأعراب القساة الضاربين في بعض نواحي نجد، والذين ما زالوا يقومون بأعمال النهب والسلب بين وقت وآخر، وإخماد نار شرهم ، ولما كانوا بدواً لا بلدة أو مدينة تجمعهم، بات لا يجدي معهم سوى حملات التأديب والتخويف، فكانت غزوة ذات الرقاع. والتي سميت بهذا الاسم، لأنهم رقعوا فيها راياتهم في قول ابن هشام، قال: ويقال ذات الرقاع شجر بذلك الموضع يقال لها ذات الرقاع، وذكر غيره أنها أرض فيها بقع سود وبقع بيض كأنها مرقعة برقاع مختلفة فسميت ذات الرقاع لذلك وكانوا قد نزلوا فيها في تلك الغزاة وجرت أحداث هذه الغزوة في السنة السابعة من الهجرة المباركة ، بعد خيبر، كما رجحه ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد . تصحيح الخطأ الشائع عند كثير من السيرة ان النبي صلى الله عليه وسلم . وبدأت حين سمع النبي صلى الله عليه وسلم باجتماع قبائل : أنمار أو بني ثعلبة، وبني محارب من غطفان، فأسرع بالخروج إليهم بأربعمائة أو سبعمائة من الصحابة ، واستعمل على المدينة أبا ذر ، وقيل عثمان بن عفان، وسار متوغلاً في بلادهم حتى وصل إلى موضع يقال له نخل ، والتقى جمعاً من غطفان ، فتوافقوا ولم يكن بينهم قتال ، إلا أنه صلى بالصحابة صلاة الخوف ، فمن جابر قال : (خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذات الرقاع من نخل ، فلقي جمعاً من غطفان ، فلم يكن قتال ، وأخاف الناس بعضهم بعضاً، فصلى النبي صلى الله عليه وسلم ركعتي الخوف) رواه البخاري .

عثمان بن عفان رضي الله عنه وبيعة الرضوان يوم الحديبية

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الصلح (أي صلح الحديبية) قد بعث عثمان بن عفان إلى مكة رسولاً، فجاء خبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن أهل مكة قتلوه، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ إلى المبايعة له على الحرب والقتال لأهل مكة: فرُوي أنه بايعهم على الموت، وروي أنه بايعهم على ألاَّ يفرّوا. وهي بيعة الرضوان تحت الشجرة، التي أخبر الله تعالى أنه رضي عن المبايعين لرسول الله صلى الله عليه وسلم تحتها، وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم لا يدخلون النار، وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيمينه على شماله لعثمان؛ فهو كمن شهدها. وذكر وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي قال: أوّل من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية أبو سفيان الأسدي. وفي صحيح مسلم عن أبي الزبير عن جابر قال: كنا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة: فبايعناه وعمر آخذ بيده تحت الشجرة وهي سَمُرَة، وقال: بايعناه على ألاّ نفرّ ولم نبايعه على الموت وعنه أنه سمع جابراً يسأل: كم كانوا يوم الحديبية؟ قال: كنا أربع عشرة مائة: فبايعناه وعمر آخذ بيده تحت الشجرة وهي سَمُرة: فبايعناه، غير جدّ بن قيس الأنصاري اختبأ تحت بطن بعيره. القرطبي، تفسير الطبري، ج ١٦، ص ٢٤٦ .

قال الحافظ أبو بكر البيهقي: أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان، أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار، حدثنا هشام، حدثنا الحسن بن بشر، حدثنا الحكم بن عبد الملك عن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيعة الرضوان كان عثمان بن عفان رضي الله عنه رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل مكة، فبايع الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم إن عثمان في حاجة الله تعالى وحاجة رسوله» فضرب بإحدى يديه على الأخرى، فكانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان رضي الله عنه خيراً من أيديهم لأنفسهم. قال ابن هشام حدثني من أثق به عمن حدثه بإسناد له عن أبي مليكة عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان رضي الله عنه، فضرب بإحدى يديه على الأخرى. وقال عبد الملك بن هشام النحوي: فذكر وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي قال: إن أول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان أبو سنان الأسدي، وقال أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي: حدثنا سفيان، حدثنا ابن أبي خالد عن الشعبي قال: لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى البيعة كان أول من انتهى إليه أبو سنان الأسدي فقال: أبسط يدك أبايعك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «علام تبايعني ؟ فقال أبو سنان رضي الله عنه: على ما في نفسك، هذا أبو سنان وهب الأسدي رضي الله عنه. ابن كثير الدمشقي، تفسير ابن كثير: ج٧، ص ٣٠٥ .

منى أثري في الحديبية، عدسة المؤلف.

شجاعة عثمان بن عفان في عبد الله بن سعد يوم فتح مكة

لما كان يوم فتح مكة أمَّن رسول الله الناس إلا أربعة نفر وامرأتين، وقال: اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة: عكرمة بن أبي جهل، وعبد الله بن خطل، ومقيس بن حبابة، وعبد الله بن سعد بن أبي السرح. فأما عبد الله ابن خطل، فأدرك وهو متعلق بأستار الكعبة، فاستبق اليه سعيد بن حريث وعمار بن ياسر فسبق سعيد عماراً وكان أشد الرجلين فقتله، وأما مقيس بن حبابة، فأدركه الناس وهو في السوق فقتلوه. وأما عكرمة، فركب البحر فأصابتهم ريح عاصف، فقال أصحاب السفينة لأهل السفينة: أخلصوا، فان آلهتكم لا تغني عنكم شيئاً هاهنا، فقال عكرمة: والله لئن لم ينجني في البحر إلا الإخلاص ما ينجيني في البر غيره، اللهم إن لك علي عهداً إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمداً حتى أضع يدي في يده فلأجدنه عفواً كريماً، قال: فجاء فأسلم. وأما عبد الله بن سعد بن أبي سرح، فإنه اختبأ عند عثمان بن عفان، فلما دعا النبي الناس الى البيعة، جاء به حتى أوقفه على النبي، فقال: يا رسول الله بايع عبد الله، فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثاً كل ذلك يأبى، فبايعه بعد ثلاث، ثم أقبل على أصحابه فقال: «أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حين رآني كففت يدي عن بيعته فيقتله»، فقالوا ما يدرينا رسول الله ما في نفسك؟ ألا أومأت إلينا بعينك؟ فقال: «إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة أعين».

قال تعالى: « ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ». قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: « ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا » هذا كله في عمّار. والمعنى وصبروا على الجهاد؛ ذكره النحاس. وقال قتادة: نزلت في قوم خرجوا مهاجرين إلى المدينة بعد أن فتنهم المشركون وعذبوهم، وقد تقدّم ذكرهم في هذه السورة. وقيل: نزلت في ابن أبي السَّرْح، وكان قد ارتد ولحق بالمشركين فأمر النبيّ صلى الله عليه وسلم بقتله يوم فتح مكة، فاستجار بعثمان فأجاره النبيّ صلى الله عليه وسلم؛ ذكره النسائي عن عكرمة عن ابن عباس قال: في سورة النحل «من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره» إلى قوله «ولهم عذاب عظيم» فنسخ، واستثنى من ذلك فقال « ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فُتِنُوا ثم جاهدوا وصَبَرُوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم » وهو عبد الله بن سعد بن أبي سرح الذي كان على مصر. كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأزله الشيطان فلحق بالكفار فأمر به أن يقتل يوم الفتح؛ فاستجار له عثمان بن عفان فأجاره رسول الله صلى الله عليه وسلم. القرطبي، تفسير القرطبي، ج١٠، ص ١٩٢ .

أطلس الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه

قال تعالى: « وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » التوبة ١٢١ . قال ابن كثير في تفسيره للآية « وَلَا يُنفِقُونَ » هؤلاء الغزاة في سبيل الله « نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً » أي قليلاً ولا كثيراً « وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا » أي في السير إلى الأعداء « إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ » ولم يقل ههنا به، لأن هذه أفعال صادرة عنهم، ولهذا قال: « لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » وقد حصل لأمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه من هذه الآية الكريمة حظ وافر ونصيب عظيم، وذلك أنه أنفق في هذه الغزوة النفقات الجليلة والأموال الجزيلة، كما قال عبد الله بن الإمام أحمد: حدثنا أبو موسى الغنزي، حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، حدثني سكن بن المغيرة، حدثني الوليد بن أبي هشام، عن فرقد أبي طلحة، عن عبد الرحمن بن خباب السلمي، قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فحث على جيش العسرة « غزوة تبوك » فقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: عليَّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها، قال: ثم حث، فقال عثمان: عليَّ مائة بعير أخرى بأحلاسها وأقتابها، قال: ثم نزل مرقاة من المنبر ثم حث، فقال عثمان بن عفان: عليَّ مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها. قال: فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بيده هكذا يحركها، وأخرج عبد الصمد يده كالمتعجب « ما على عثمان ما عمل بعد هذا» وقال عبد الله أيضاً: حدثنا هارون بن معروف، حدثنا ضمرة، حدثنا عبد الله بن شوذب، عن عبد الله بن القاسم عن كثير مولى عبد الرحمن بن سمرة عن عبد الرحمن ابن سمرة، قال: جاء عثمان رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم بألف دينار في ثوبه حتى جهز النبي صلى الله عليه وسلم جيش العسرة، قال: فصبها في حجر النبي صلى الله عليه وسلم فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقلبها بيده ويقول: « ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم » يرددها مراراً، وقال قتادة في قوله تعالى: « وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ » . ما ازداد قوم في سبيل الله بعداً من أهليهم في سبيل الله إلا ازدادوا قرباً من الله. ابن كثير الدمشقي، تفسير ابن كثير ، سورة التوبة، آية : ١٢١، ج ٤، ص ٢٠٥ .

تبوك: بالفتح ثم الضم، وواو ساكنة، وكاف: موضع بين وادي القُرَى والشام، وقيل بركة لأبناء سعد من بني عُذرة؛ وقال أبو زيد: تبوك بين الحجر وأول الشام على أربع مراحل من الحجر نحو نصف طريق الشام، وهو حسن به عين ونخل وحوائط ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ويقال إن أصحاب الأيكة الذين بُعث إليهم شعيب، عليه السلام، كانوا فيها ولم يكن شعيب منهم، وإنما كان من مَدْيَن، ومدينٌ على بحر القلزم على ست مراحل من تبوك، وتبوك بين جبل جِسْمى وجبل قَرْوَنَى، وحسمى غربيها، وقروى شرقيها؛ وقال أحمد بن يحيى بن جابر: توجه النبي صلى الله عليه وسلم في سنة تسع للهجرة إلى تبوك من أرض الشام، وهي آخر غزواته، لغزو من انتهى إليه أنه قد تجمع من الروم وعامله ولخم وجُذام، فوجدهم قد تفرقوا فلم يلق كيداً؛ ونزلوا على عين فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أحد يمسّ من مائها، فسبق إليها رجلان وهي تبض بشيء من ماء فجعلا يدخلان فيها سهمين ليكثر مأؤها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما زلتما تبوكان منذ اليوم، فسميت بذلك تبوك، والبوك: إدخال اليد في شيء وتحريكه، ومنه يأك الحمار الأتان إذا نزا عليها، يبوكها بوكاً؛ وركز النبي، صلى الله عليه وسلم، عَنَزَتَه فيها ثلاث ركزات، فجاشت ثلاث آمين، فهي تُهمي بالماء إلى الآن؛ وأقام النبي صلى الله عليه وسلم، بتبوك أياماً حتى صالحه أهلها، وأنفذ خالد بن الوليد إلى دومة الجندل وقال له: ستجدُ صاحبها يصيد البقر، فكان كما قال، فأسره وقدم به على النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقال يُجير ابن يجرة الطائي يذكر ذلك: تبارك سابقُ البقرات، إني رأيتُ الله يهدي كل هاد، فمن يك حائداً عن ذي تبوك، فإنّا قد أمرنا بالجهاد.

وبين تبوك والمدينة اثنتا عشرة مرحلة، وكان ابن عريض اليهودي قد طوى بئر تبوك لأنها كانت تتعلمُ في كل وقت، وكان عمر بن الخطاب، رضي الله عنه أمّره بذلك. الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ١٤ – ١٥ .

فوهة البئر. م . ص . مكتبة الطوالة

بئر رومة : هي بئر قديمة تنسب لرجل من قبيلة غفار، اسمه رومة، يقال: أنه اشتراها من رجل مزني، وتقع في الشمال الغربي من المدينة النبوية قرب مجرى وادي العقيق، وتبعد عن المسجد النبوي حوالي خمسة كيلومترات. وفي العهد النبوي احتاج المسلمون إليها وكان يملكها رجل يهودي. وفي رواية رجل من غفار. فحض رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين على بذلها للمسلمين؛ فاشتراها عثمان بن عفان رضي الله عنه وجعلها في سبيل الله ويروى أنه زاد في حفرها ووسعها. وفي صحيح البخاري عن عبد الرحمن السلمي أن عثمان حيث حوصر أشرف عليهم وقال: أنشدكم بالله، ولا أنشد إلا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من حفر رومة فله الجنة ؟) فحفرتها ؟ .... الحديث. وقد ظلت هذه البئر معلماً تاريخياً عبر العصور التاريخية ويبدو أنها أهملت في بعض الأوقات وردمت أو جف ماؤها ثم حفرت وبنيت جدرانها وفوهتها (المرصوي). وتسمى بئر عثمان. وتذكر بعض المصادر أن البستان المحيط بها كان وقفاً للمسجد النبوي ويسمى أيضاً بستان عثمان.

بئر رومة (بئر عثمان بن عفان رضي الله عنه)

إسهام عثمان بن عفان رضي الله عنه في توسيع المسجد النبوي في عهد المصطفى عليه السلام

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بنُ عبْدِ الرَّحْمنِ وَ عَبَّاسُ بنُ مُحَمَّدٍ الدُّوْرِيُّ وغَيرُ وَاحِد ـ المَعْنَى واحِدٌ ـ قالُوا: حدثنا سَعِيدُ بنُ عامِرٍ قالَ عَبْدُ اللهِ: أخبرنا سَعِيدُ بنُ عَامِرٍ عَن يَحْيى بنِ أبي الحَجَّاجِ المِنْقَرِيِّ عَن أبي مَسْعُودٍ الجُرَيْرِيِّ عَن ثُمَامَةَ بنِ حَزْنٍ القُشَيْرِيِّ ، قالَ: « شَهِدْتُ الدَّارَ حِينَ أشْرَفَ عَلَيْهِمْ عُثْمَانُ، فقالَ ائْتُونِي بِصَاحِبَيْكُمُ اللَّذَيْنِ أَلَّبَاكُمْ عَلَيَّ؟ قالَ فَجِيءَ بِهِمَا كأَنَّهُمَا جَمَلاَنِ، أَوْ كأَنَّهُمَا حِمَارَانِ، قالَ فأَشْرَفَ عَلَيْهِمْ عُثْمَانُ فَقالَ أَنْشُدُكُمْ باللهِ والإسْلاَمِ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسولَ اللهِ قَدِمَ المَدِينَةَ وَلَيْسَ بِهَا ماءٌ يُسْتَعْذَبُ غَيرَ بِئْرِ رُومَةَ، فقالَ رَسُولُ اللهِ : مَنْ يَشْتَرِي بِئْرَ رُومَةَ فَيَجْعَلَ دَلْوَهُ مَعَ دِلاَءِ المُسْلِمِينَ بِخَيْرٍ لَهُ مِنْهَا فِي الجَنَّةِ، فاشْتَرَيْتُهَا مِن صُلْبِ مالِي فأَنْتُمُ اليَوْمَ تَمْنَعُونِي أَنْ أَشْرَبَ مِنْهَا حَتَّى أَشْرَبَ مِنْ ماءِ البَحْرِ؟ قالُوا اللهُمَّ نَعَمْ، فقالَ أَنْشُدُكُمْ باللهِ وَالإسْلاَمِ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ المَسْجِدَ ضَاقَ بِأَهْلِهِ؟ فقالَ رَسُولُ اللهِ : مَنْ يَشْتَرِي بُقْعَةَ آلِ فُلاَنٍ فَيَزِيدُهَا فِي المَسْجِدِ بِخَيْرٍ لَهُ مِنْهَا فِي الجَنَّةِ؟ فاشْتَرَيْتُهَا مِنْ صُلْبِ مَالِي فَأَنْتُمُ اليَوْمَ تَمْنَعُونِي أَنْ أُصَلِّيَ فِيهَا رَكْعَتَيْنِ؟ قالُوا اللهُمَّ نَعَمْ، قالَ أَنْشُدُكُمْ باللهِ وبالإسْلاَمِ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنِّي جَهَّزْتُ جَيْشَ العُسْرَةِ مِنْ مَالِي؟ قالُوا اللهُمَّ نَعَمْ، ثم قالَ أَنْشُدُكُمْ باللهِ والإسْلاَمِ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسولَ اللهِ كَانَ عَلى ثَبِيرٍ مَكَّةَ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَأَنَا فَتَحَرَّكَ الجَبَلُ حَتَّى تَسَاقَطَتْ حِجَارَتُهُ بِالحَضِيضِ، قالَ فَرَكَضَهُ بِرِجْلِهِ، فقالَ اسْكُنْ ثَبِيرُ فإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وشَهِيدَانِ؟ قالُوا اللهُمَّ نَعَمْ، قالَ اللهُ أَكْبَرُ شَهِدُوا لِي وَرَبِّ الكَعْبَةِ أَنِّي شَهِيدٌ ثَلاَثاً». سنن الترمذي ، ج ١٠، ص ٢٠٩ .

التوسعة السعودية ، للمسجد النبوي الشريف، عدسة المؤلف .

مواقف أسرية لعثمان بن عفان في العهد المدني

زواج عثمان من أم كلثوم بنت محمد صلى الله عليه وسلم سنة ٣هـ

وتزوج بعدها أختها أم كلثوم بوحي. فقد روي « أنه – أي رسول الله – رأى عثمان ابن عفان مهموماً بعد موت رقية رضي الله عنها، فقال له: مالي أراك لهفاناً مهموماً، فقال له: يا رسول الله وهل دخل علي أحد ما دخل عليّ انقطع الصهر بيني وبينك، فبينما هو يحاوره إذ قال : هذا جبريل عليه السلام يأمرني عن الله عز وجل أن أزوجك أختها أم كلثوم على مثل صداقها وعلى مثل عشرتها، فزوجه إياها، ولما تزوجها دخل عليها رسول الله فقال: يا بنية أين أبو عمرو؟ قالت: خرج لبعض حاجاته قال: كيف رأيت بعلك؟ قالت: يا أبت خير بعل وأفضله، فقال: يا بنية كيف لا يكون كذلك وهو أشبه الناس بجدك إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه، وأبيك محمد» وجاء «عثمان من أشبه أصحابي بي خلقاً» وجاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال رسول الله: «قال لي جبريل عليه السلام: إن أردت أن تنظر من أهل الأرض شبيه يوسف الصديق فانظر إلى عثمان بن عفان » ولتزوجه ببنتي رسول الله قيل له ذو النورين، ولم يجمع أحد منذ آدم إلى اليوم بين بنتي نبي غيره رضي الله عنه، ومن ثم لما سأل رسول الله علياً عنه قال: ذاك امرؤ يدعى في الملأ الأعلى ذا النورين.

وفاة عبد الله بن عثمان وهو ابن ست سنين

ورزق عثمان رضي الله عنه من رُقية بولد يقال له: عبدالله فاكتنى به؛ وكان قبل ذلك يكنى أبا عمرو، وفي جمادى الأولى سنة أربع من الهجرة المباركة مات عبد الله ابن عثمان رضي الله عنه، وهو ابن ست سنين، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه، ونزل حفرته والد عثمان، فحزن عثمان على وفاة ابنه حزناً عظيماً، سرعان ما احتسب ذلك عند الله تعالى .

وفاة أم كلثوم بنت محمد صلى الله عليه وسلم، في شعبان سنة ٩ هـ

ولما ماتت أم كلثوم تحته وذلك سنة تسع قال عليه السلام « زوجوا عثمان، لو كان لي ثالثة لزوجته إياها، وما زوجته إلا بوحي من الله » وجاء أنه قال له: « لو أن لي أربعين بنتاً زوجتك واحدة بعد واحدة حتى لا يبقى منهن واحدة » وأم عثمان بنت عمته أروى بنت عبد المطلب، توأمة عبدالله أبي النبي صلى الله عليه وسلم .

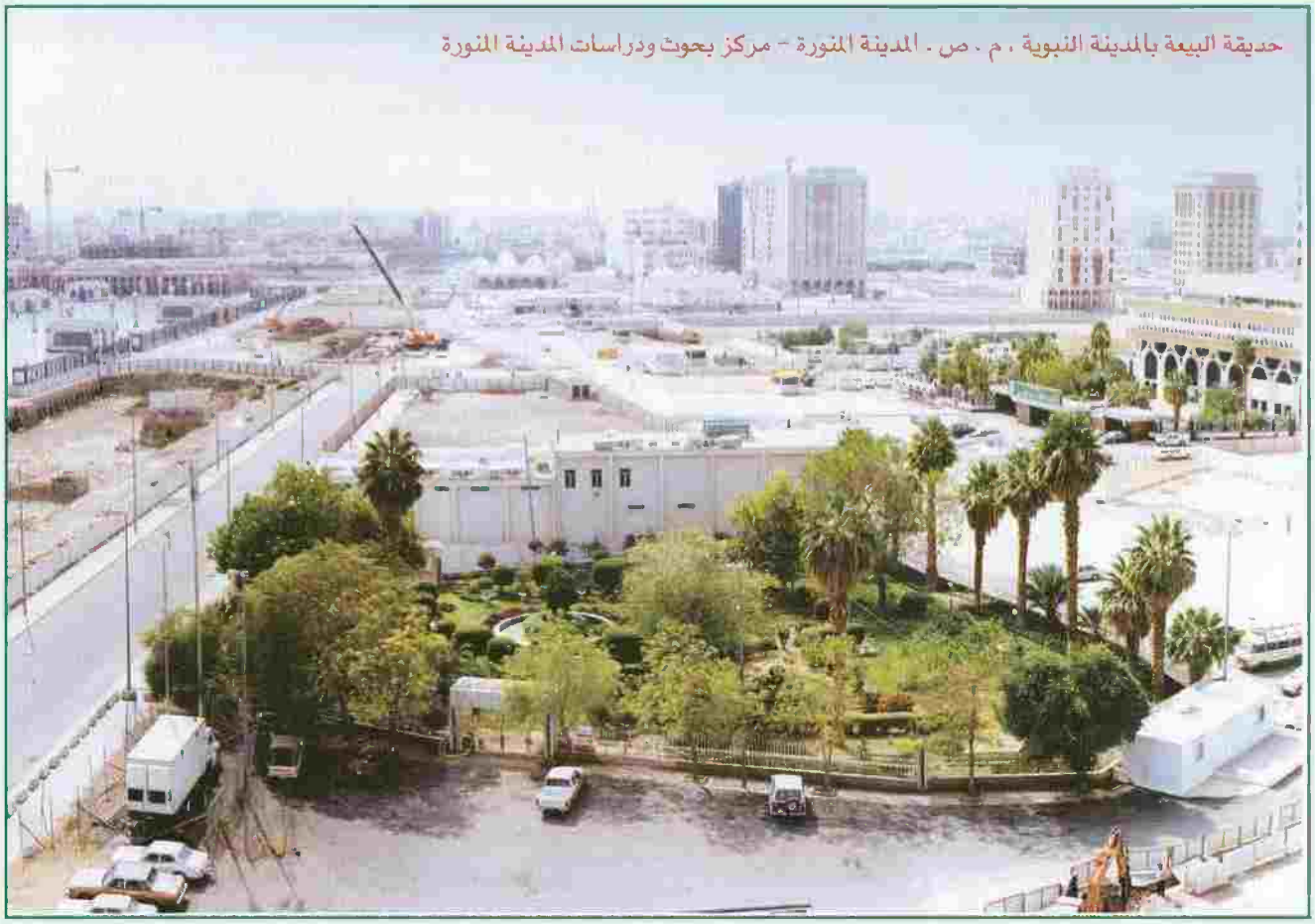
حديقة البيعة بالمدينة النبوية ، م . ص . المدينة المنورة - مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

عثمان في خلافة الصديق

كان عثمان بن عفان - رضي الله عنه - في خلافة أبي بكر الصديق ثاني اثنين في الحظوة عند أبي بكر: عمر بن الخطاب، للحزامة والشدائد، وعثمان بن عفان، للرفق والأناة، وكان عمر، وزير الخلافة الصديقية، وكان عثمان أمينها العام، وناموسها الأعظم ، وكاتبها الأكبر، وهو الذي كتب بيده عهد الخلافة إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بإملاء أبي بكر في مرضه؛ فكتب اسم عمر قبل أن يذكره له، فلما علم صنيع عثمان أقره وأثنى عليه، وشهد أنه أهل للخلافة . صادق إبراهيم عرجون ، عثمان بن عفان رضي الله عنه، ص ٥٨ . وحينما أصيبت المدينة بقحط المطر في خلافة الصديق تبرع عثمان بأن جعل الطعام صدقة على فقراء المسلمين .

عثمان في خلافة الفاروق

كان عثمان بن عفان - رضي الله عنه - في خلافة الفاروق أشبه بأبي بكر الصديق في رحمته، حيث جعله عمر وزيراً يستنير برأيه ويأخذ بمشورته، فهو الذي اشار على الفاروق بتدوين الدواوين، والإشارة بالبدء في التأريخ الهجري بالمحرم، وعدم تقسيم أرض الفتوح على الفاتحين وإبقائها فيئاً للمسلمين والذرية من بعدهم . فقد أشار على عمر بإحصاء الناس في سجلات ودواوين يرجع إليها في أرزاقهم وأعطياتهم؛ وذلك لما اتسعت الفتوحات الإسلامية .

أهم مراجع الباب الثاني

١ - القرآن الكريم .

٢ - السنة النبوية .

٣ - مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية .

٤ - وزارة الثقافة والإعلام .

٥ - معجم البلدان . ياقوت بن عبد الله الحموي .

٦ - تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي .

٧ - الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي .

٨ - تفسير ابن كثير، ابن كثير الدمشقي .

٩ - عثمان بن عفان رضي الله عنه، صادق إبراهيم عرجون .

١٠ - مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة .

١١ - مكتبة الطوالة .

١٢ - الأطلس التاريخي لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، سامي بن عبد الله المغلوث .